أبرز التيارات الفكرية في المغرب العربي وأثرها على الشعر العربي في عصر الموحدين

The most prominent intellectual currents in the Maghreb And its impact on Arab poetry in the era of Unitarians

أ . ابن سماعين اسماعيل [1] *، د. مصطفى شريقن [2]

[1] جامعة عمار ثليجي بالأغواط- الجزائر [2] جامعة عمار ثليجي بالأغواط- الجزائر

تاريخ الاستلام : 2020/01/31 ؛ تاريخ القبول : 2020/04/27 ؛ تاريخ النشر : 2020/09/20

ملخص: يهدف البحث إلى تسليط الضوء ورصد حركية اهم التيارات الفكرية من فرق ونحل التي انتشرت في المغرب الإسلامي كامتداد لتمثيلها في المشرق العربي في عصر الموحدين مما أثرى الحركة الأدبية، فكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك الصراع العقدي في المغرب العربي بين أهل السنة وتلك التيارات الفكرية الوافدة على الحركة الأدبية وخاصة الشعر بمختلف أغراضه من مدح وفخر وهجاء ورثاء وغيرها من الأغراض الشعرية التي عرفها أهل المشرق إلا أن الهدف من نظمها يختلف نوعا ما كونها تدعو إلى تبني فكر معين أو فرقة معينة كما هو الحال بالنسبة للشيعة أو المرجئة أو الخوارج أو الأشاعرة أو الصوفية ...الخ، أو كوسيلة للمقاومة والتحرير الفكري استعملها أصحاب السنة كما هو الشأن لصحاب المذهب المالكي وشعرائه ضد أهل الأهواء والبدع ردحا طويلا من الزمن.

الكلمات المفتاحية : التيارات الفكرية ، عصر الموحدين، المغرب العربي، الشعر العربي، الفكر الصوفي.

Abstract: *The goal of this research is the observation of movement and the trajectory of the intellectual currents of the religious troops which propagated in the Islamic Arab Maghreb like that of the East in the era of the Unitarians and that which to enrich the intellectual movement.*

It was natural that the ideological conflict in the Maghreb between the Sunnis and the new intellectual currents come reflected on these intellectual movements and enrich them and poetry especially in their different types like praise and honor and satire and condolence ... etc. these types known to the people of the East, but the purpose of writing poetry is a little different as calls for the adoption of a certain thought or a particular band, as in the case of Shiites or Prolongée or Kharijites or Ash'aris or Sufis ... etc., or as a means of resistance and intellectual liberation used by Sunni owners like owners of the doctrine of Imam Malik and those poets against owners of longings passions and heresies .

key words : *intellectual currents, the era of Unitarians, Arab Maghreb, Arabic poetry, Sufi thoughts.*

*المؤلف المرسل: bensmainsmail@yahoo.com

مقدمة:

لقد شهدت ساحة المغرب العربي في عصر الموحدين صراع فكري وعقائدي كبير كان له الأثر البالغ على الدراسات الأدبية واللغوية، ولكن تشاء أقدار المولى -عز وجل- أن يقيض لهذه الأمة رجال حماة عظماء ممن يذودون عن الإسلام ويحمون حماه سخروا أقلامهم وبما نضحت به قرائحهم للدفاع والوقوف بقوة في وجه هذه التيارات الفكرية الوافدة التي كادت تعصف بالمغرب العربي، وكان لجهادهم ذلك ثماره التي ظهرت جليا في بقاء المغرب الإسلامي ردحا من الزمن ينعم فيها تحت ظلال المذهب السني الوارفة، مما كان له انعكاسا واضحا على الدراسات الأدبية واللغوية في أهم مظاهرها أي في الشعر العربي بشتى أغراضه، فخلّف هذا الانعكاس تراث لغوي زاخر ليس ببعيد عن مثيله في المشرق العربي، ولعل المميز لهذا البحث هو إبراز جهود الفقهاء وعلماء الدين وجهود الفاتحين في الدفاع عن العقيدة الصحيحة والمذهب السني الصافي في المغرب العربي، ونشر تعاليمه السمحاء وتتبع تلك الجهود من خلال الأثر الأدبي المتمثل في الشعر العربي ويكفيهم فخرا أن النبيء (ص) بشرهم بذلك في قوله: " لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ".[1]

ومن هذا المنطلق بني هذا البحث على أساس الإشكالية الآتية : كيف أثرت التيارات الفكرية في المغرب العربي على الشعر العربي في عصر الموحدين؟

كما يتمخض على هذه الاشكالية الأساسية إشكالية جزئية موازية ومرتبطة بها والتي كثيرا ما كانت تطرح عند تناول الدراسات الأدبية واللغوية وهي: هل واكبت اللغة والأدب العربي عند المغاربة ذلك التطور والإبداع الذي شهده المشرق العربي، أم بقيت المقولة الذائعة الصيت "بضاعتنا ردت إلينا" التي قالها الصاحب بن عباد عندما وصله كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه قائمة وصحيحة خاصة في عصر الموحدين؟

ولتتبع سيرورة الحركة الأدبية بما فيها الشعر العربي عند أهل المغرب لا مناص من أن نعرج على أهم مرحلة في تاريخ المغرب العربي ألا وهي:

ظهور مذهب الإمام مالك –رحمه الله- و انتشار مذهبه الفقهي بالمغرب:

لقد كان للإمام مالك إمام دار الهجرة وأحد كبار أئمة المذاهب الأربعة صلة قوية بالمغرب العربي عن طريق كتبه وتلاميذه في نشر مذهبه في هذه المنطقة حتى أصبح المذهب السائد في ربوع المغرب العربي مما زاد في تمسك أهل المغرب بالنصوص الشرعية من القرآن والسنة، والتصدي للخوارج ولأعمالهم الانتقامية في حق سكان المغرب في القيروان سنة 140هـ[2]، والتصدي للفرق والتيارات الفكرية وأفكارها المنحرفة والإعراض عن التخريج والتأويل وإعمال الرأي، فقد ذكر ابن خلكان ذلك الموقف الذي وقفه فقهاء المالكية في جميع أقطار الشمال الافريقي ضد تسرب مبادئ المعتزلة وأفكارهم، وكيف أنهم اتخذوا موقف عداء من الدولة الأغلبية لانحيازها لفقه أهل العراق ومبادئ المعتزلة[3].

قال العلامة ابن خلدون المالكي في "مقدمته" الشهيرة: «وأما مالك رحمه الله تعالى، فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم (كالبصرة وبعض أطراف الجزيرة)"[4].

إلا أن أهل المغرب ممن إلتزموا بالمذهب المالكي بلغ منهم حد التعصب، وهذا ما أشار إليه الإمام المقري في نفح الطيب عن شدة تعلق أهل المغرب بالمذهب المالكي حتى بلغ درجة التعصب وذكر لنا أبياتا للإمام منذر بن سعيد البلوطي (350هـ) تصور في أروع تصوير تعصب المالكية في عصره قال فيها:

عذيري من قوم إذا ما سألتهم ... دليلا قالوا هكذا قال مالك
فإن زدت قالوا قال سحون مثله ... وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فإن قلت قال الله ضجوا وأعولوا ... عليّ وقالوا أنت خصم ممحاك[5]

ولما بلغ هذا التعصب أوجه كان من الطبيعي أن يظهر تيار آخر مناقض له، فامتزج أسلوب الوصف بالسخرية والاستهزاء في معرض، وبين تصريح وتعريض في معرض آخر، وهو ليس ببعيد عن شعر الزندقة والشعوبية التي ظهرت في العصر العباسي الأول[6]، وهذا ما نجده في أبيات لأحمد بن محمد المعروف بابن النبي الأندلسي مخاطبا فقهاء المالكية في ذلك الزمان ويسخر منهم فقال:

أهل الرياء لبستموا ناموسكم ... كالذئب أدلج في الظلام القاتم
فملكتموا الدنيا بمذهب مالك ... وقسمتموا الأموال بابن القاسم
وركبتموا شهب الدواب بأشهب ... وبأصبع صبغت لكم في العالم[7]

ويبدو أن هذا التعصب للمذهب المالكي قد إمتد حتى مصر عندما ألف الإمام الشافعي كتاباً يرد به على الإمام مالك وفقهه، غضب منه المالكيون المصريون بسبب الكتاب وأخذوا يحاربون الشافعي، وتعرض للشتم القبيح المنكَر من عوامهم، والدعاء عليه من علمائهم. يقول الكندي: « لما دخل الشافعي مصر، كان ابن المنكدر يصيح خلفه: "دخلتَ هذه البلدة وأمرنا واحد، ففرّقت بيننا وألقيت بيننا الشر. فرّقَ الله بين روحك وجسمك"»[8].

وهذا فيه تحريض مبطّن لعوام المالكية لاغتيال الإمام الشافعي وتصفيته جسدياً، بل كان فقيههم (فتيان) يدخل المسجد ويشتم الشافعي بأقذع الشتائم أمام طلابه، والإمام الشافعي يتابع درسه ولا يجيبه. وقد قال الإمام موضحاً السبب لتلاميذه[9]:

إِذا سَبَّني نَذلٌ تَزايَدتُ رِفعَةً ... وَما العَيبُ إِلّا أَن أَكونَ مُسابِبُه
وَلَو لَم تَكُن نَفسي عَلَيَّ عَزيزَةً ... لَمَكَنتُها مِن كُلِّ نَذلٍ تُحارِبُه

وقال كذلك:

إِذا نَطَقَ السَفيهُ فَلا تَجِبهُ ... فَخَيرٌ مِن إِجابَتِهِ السُكوتُ
فَإِن كَلَّمتَهُ فَرَّجتَ عَنهُ ... وَإِن خَلَّيتَهُ كَمَداً يَموتُ

ولعل انتشار المذهب المالكي الذي كان صاحب السيادة المذهبية في هذا الجزء من العالم الإسلامي كان سببا هاما في انتشار الكثير من المذاهب والتيارات الفكرية الأخرى التي عصفت بالمشرق العربي لذلك فرض

المذهب المالكي وبسط نفوذه في محاربة أي مذهب أو فكر ديني آخر، ورغم ذلك وجدت هذه المذاهب والتيارات الفكرية الوافدة طريقا نفذت به إلى بلاد المغرب ثم الأندلس ، فلا غرو أن يكون لذلك الأثر الواضح على موزون كلام العرب، وأهمها هذه التيارات:

1/ دخول الفكر الاعتزالي إلى المغرب و انتشاره :

لم يجد علم الكلام له نشاطا واسعا في المغرب العربي على غرار ما وجد أصحابه في المشرق العربي من كثرة الأنصار والعلماء والفقهاء والشعراء، إلا أن هذا الفكر كان موجودا عند المغاربة خاصة عند أولئك الذين رحلوا إلى المشرق وتشبعوا بأفكار المعتزلة ومعتقداتهم أمثال سليمان بن أبي عصفور المعروف بالفراء وأبي هذيل وفرج بن سلام القرطبي الذي تتلمذ على يد أبي عثمان بن بحر الجاحظ[10] ، وفي هذا المقام يقول ابن حزم : "وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولم تختلف فيها النحل فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب فهي على كل حال غير عرية منه وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال نظار في أصول الدين ولهم فيه تأليف"[11] .

وبالمقابل كان رد فعل المغاربة عنيفا ضد هذا التيار الفكري الجديد الوافد حتى عمدوا إلى إحراق مؤلفاتهم كما فعلوا بكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي- كما سيأتي لاحق في مقاومة التصوف- وكما فعلوا بمصنفات ابن حزم عندما خالف المذهب المتبع في المغرب من لدن المعتضد بن عباد فأرسل إليه ابن حزم هذه الأبيات من شعر التحدي يقول فيها:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري[12]

ومن بين المقامات الهامة التي كانت محط المناظرة والجدل والتأليف في نفس الوقت الرد على الأقوال التي جاء بها الفكر الاعتزالي كمسألة القضاء والقدر، الاستواء والسؤال عن كيفيته في قوله (ﷻ) : ﴿ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾[13].

ولعل أبرز محطة للمناظرة والجدل هي مسألة خلق القرآن التي عرف بهذا المذهب الإعتزالي، فقد كان الإمام ابن أبي زيد القيرواني من أوائل من ألف في الرد على أقوال أصحاب المعتزلة والقدرية، والإمام عمرو الداني الذي نظم قصيدة طويلة بيّن فيها زيغ وانحراف أراء المعتزلة ومعتقداتهم وخاصة مسألة خلق القرآن وبيّن مذهب أهل السنة في القرآن الكريم، وأنه كلام الله عز وجل المنزل على نبيه محمد (ص) وليس بخالق ولا مخلوق فقال:

والقول في كتاب المفضل ... بأنه كلامه المنزل
على رسوله النبي الصادق ... ليس بمخلوق ولا خالق
منه قال فيه إنه مخلوق ... أو محدث فقوله مروق
والوقف عليه بدعة مضلة ... ومثل ذلك اللفظ عند الجلة
كلا من الفريقين من الجهمية ... الواقفون[14] فيه اللفظية[15]
أهون بقول جهم الخسيس ... وواصل وبشر المريسي

ذي السخف والجهل وذي الفساد معمر وابن أبي داود[16]

ويليها أبيات طويلة تبرز درجة الهجاء اللاذع كغرض من أغراض الشعر المعروفة من جهة ، وتكشف عن مدى الكره والبغض الذي يكنه أهل السنة لأهل الأهواء والبدع وخاصة منهم شيوخ المعتزلة من جهة أخرى[17] .

2/ دخول المذهب الأشعري إلى المغرب و انتشاره به:

لقد كان لرجوع محمد بن تومرت من رحلته المشرقية الأثر البالغ في التأثير على الفكر الذي كان سائدا آنذاك في المغرب الإسلامي وخاصة في نشر المذهب الأشعري الذي تبناه ابن تومرت الذي تتلمذ وأخذ عن علماء مذهب الشيخ الحسن الأشعري ومتأخري أصحابه، ولما عاد إلى المغرب سعى أتباعه بالموحدين تعرضا لمن خالف طريقته ليس بموحد، ومن ذلك الوقت أقبل علماء المغرب على اعتناق المذهب الأشعري وتقريره وتحريره درسا وتأليفا، وفي هذا المقام أشار ابن خلدون في مقدمته إليه حيث يقول: " وانطوى هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين، وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعريين من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقيدة السلفية والذود عنها بالحجج العقلية الدامغة في صدر أهل البدعة، وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه والاعتقاد بمذهب السلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت، فبصّر المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد".[18]

وهناك نصوص أخرى كثيرة في هذا الصدد عن الإمام الذهبي الذي يقول: " وكان ابن تومرت لهجا بعلم الكلام خائضا في مزال الأقدام، ألف عقيدة لقبها بالمرشدة فيها توحيد وخير بانحراف، فحمل أتباعه عليها وسماهم الموحدين ونبذ من خالف المرشدة بالتجسيم وأباح دمه ، نعوذ بالله من الغي والهوى "[19].

ولا غرو أن الفكر المغربي السني كان على صلة بالفكر الأشعري، في هذه الفترة التاريخية المبكرة، والدليل على ذلك ما لمسناه في آراء ابن أبي زيد القيرواني (386هـ) وعقيدته التي هي في مقدمة رسالته، فهي نموذج العقائد السنية في هذه الفترة، وهي مع هذا متلبسة بآراء الأشعرية في بعض المسائل كمسألة الايمان ومسألة الكرامات التي كانت لها مواقف متباينة عند الفقهاء المالكية[20]، وعدد من الآراء التي تتمثل في عدد فقراتها التي قصد بها المؤلف الرد على مذاهب الاعتزال والإرجاء والخارجية والشيعة على طريقة الأشاعرة.

فقد ذكر عبد الواحد المراكشي أبياتا لابن تومرت يشرح فيها أسباب دعوته وانتصارا لعقيدته ضد خصومه، ويكشف لنا بعضا من حال تلك الفترة فيقول:[21]

دعني وأشياء في نفسي مخبأة لألبسن لها درعا وجلبابا
والله لو ظفرت كفي ببغيتها ما كنت عن ضرب أعناق الورى آبى
حتى أطهر ثوب الدين من دنس وأوجب الحق للسادات أيجابا
وأملأ الأرض عدلا بعدما ملئت ظلما وجورا و افتح للخيرات أبوابا

وقد ذكر ابن خلدون أنه دعا الناس إلى مبايعته، وكان ذلك في الخامس عشر من شهر رمضان سنة 515 هـ ،وفي هذا يقول ابن خلدون: « ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام[22]».

وهكذا تمت مبايعة ابن تومرت إماماً للموحدين قرب مراكش دون أي ردة فعل من قبل المرابطين أصحاب السلطة الشرعية آنذاك، وفي غفلة من أمرهم على الخطر الداهم قرب عاصمتهم شاهداً على ضعف دولة المرابطين وقتئذ ، وعلى النجاح الكبير الذي حققه ابن تومرت لدعوته الناشئة[23].

وفي حقيقة الأمر أن ابن تومرت انبهر بالفكر المشرقي على اختلاف مذاهبه وحركاته الدينية المنتشرة به، وكذلك بطريقة اكتمال المذهب الاعتزالي الكلامية، وبالتالي غرس هذا التيار الفكري في المغرب وتطهيره من التقليد والجمود والانغلاق السائد بالمجتمع المغرب[24].

ومن هذا المنطلق يجعل ابن تومرت من المجال العقائدي نوعا من التجديد الفكري، إذا واجه فقهاء السلطان التقليديين مما أدى إلى التصادم بين المؤسسة الدينية التقليدية وداعية التجديد ابن تومرت، ليتحول فيما بعد إلى صراع سياسي بين دولة ومعارضة[25].

وعلى غرار ابن تومرت كانا للإمام أبي المعالي الجويني (478هـ) هو الآخر تأثيره ودوره الكبير في نشر المذهب الأشعري بالمغرب وكان لكتابيه (الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد) وكتاب (البرهان في أصول الفقه) رواج كبير حتى اعتنى بهما علماء المغرب شرحا وتدريسا وافتتنوا به أيما افتتان، كان لذلك انعكاسا واضحا على أسلوب المدح والإطراء في الشعر ، والذي يضاهي ذلك المستوى الذي عرفه أهل المشرق في هذا النوع من الأغراض الشعرية، كما تبينه أبيات رويت لمحمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي الألبيري (537هـ):[26]

حب حبر يدعى أبا المعالي هو ديني ففيه لا تعذلوني
أنا – والله- مغرم بهواه عللوني بذكره عللوني

3/ دخول التشييع إلى المغرب و انتشاره:[27]

لقد كانت بداية دخول الفكر الشيعي إلى المغرب وانتشاره قبل عصر الموحدين بوقت ليس ببعيد على يد الدعاة الذين أرسلهم الإمام جعفر الصادق (ت 168)[28] ، كما قيل وعلى رأسهم عبد الله الشيعي المهدي[29]، الذي دخل إلى المغرب في ثوب معلم القرآن وكان يقول لأنصاره عندما يتقين من إمامتهم: "أنتم أنصار اهل البيت وشيعتهم" ، كما كان يقول:

"أنا لا أدعوكم لنفسي وإنما ادعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت".[30]

وكانت المهدية المدينة الساحلية التونسية التي أسسها عبيد الله المهدي والتي تنسب إليه عاصمة الشيعيين وقبلتهم التي يولون وجوههم اتجاهها حتى بلغ شأنها وشرفها مكة المكرمة، فهذا أحد شعراء بني عبيد يصف المهدية بعد انتقال المهدي إليها مازجا بين أسلوبي الوصف والمدح، كمظهر من مظاهر الولاء العقائدي لأئمة أهل البيت حسب المذهب الشيعي، فيقول:

ليهنك أيها الملك الهمام قدوم فيه للدهر ابتسام
لقد عظمت بأرض الغرب دار بها صلوات تقبل وصيام
هي المهدية الحرم الموقى كما بتهامة البلد الحرام
كأن مقام إبراهيم فيه ثرى قدميك إن عدم المقام
وإن لثم الحجيج الركن أضحى لنا بعراص قصركم التثام
لك الدنيا ونسلك حيث كنتم فكلكم لها أبدا إمام[31]

وقد كان للشعراء الشيعة روائع القصائد في المدح وإن كانت في باطنها تخفي الكفر والشرك بعينه وصل إلى حد التأليه فهذا ابن هانئ شاعر المعز الفاطمي يمدح كذلك المهدي عبيد الله، المبالغ فيها إلى درجة الشرك العلني، فيقول:

وعملت عن مكنون علم الله ما لم يؤت جبريلا وميكائيلا
لله فيك سريرة لو اعلنت أحيا بذكرك قاتل مقتولا
لولا حجاب دون علمك حاجز وجدوا إلى علم الغيوب سبيلا

وقال أيضا:

والنور أنت كل نور ظلمة والفوق أنت وكل فوق دون
لو كان رأيك شائعا في الأمة علمت بما سيكون قبل يكون

وقال أيضا في أبيات مقتبسات من القرآن الكريم على نفس الشاكلة التي عرفها الشعر في المشرق العربي، والتي توحي أيضا بالمبالغة في الوصف على أن الموصوف بلغ في ذلك الوصف النهاية والكمال أو حتى تشترك مع صفات الخالق تبارك وتعالى، ولعمري فإن هذا لمن أعظم درجات الشرك، كما في قوله:

ولك الجواري المنشآت مواخر تجري بأمرك والرياح رخاء[32]

وبالمقابل كان لعلماء السنة وأنصار المذهب المالكي ممن يذودون عن العقيدة الصحيحة رد فعل عنيف، وإن لقوا أشنع أنواع السجن والتعذيب والقتل من أهل الشيعة الذين بسطوا نفوذهم على المغرب ومن هؤلاء الفقهاء أبو جعفر العافري (ت 301) والإمام إبراهيم بن عبد الله الزبيري (ت 359) الذي أمر عبيد الله المهدي بقتله وابن أبي زيد القيرواني الذي رثاه ابن أبي زيد بقصيدة طويلة، من أروع المراثي التي لم تقل شئننا مما قيل في الرثاء عند أهل المشرق، فقال :

يا طول شوقي إلى من غاب منظره وذكره في حوى الأحشاء قد سكنا
لهفي على ميت ماتت به سبل قد كان أحيا رسوم الدين وألسننا
كم محنة طرقته في الاله فلم يحزن لذلك إذ في ربه امتحنا

ومنها أيضا:

حتى استار به الإسلام في بلد لولاه مات به الإسلام واندفنا[33]

ومن صفوة هؤلاء العلماء كذلك أبو علي بن خلدون (407هـ) الذي رثاه ابن جرمون قائلا:

جفوني إلا تدري الدموع بأسحم ونفسي إلا تلتظي فتضرمي
فلا وجد إلا أن تفيضي من الأسى ولا دمع إلا أن يكون من الدم[34]

وبالمقابل كان الطبيعي أن يظهر شعر الهجاء في وسط هذه الأجواء المشحونة التي كان سببها هذا التيار الشيعي، ومن الشعراء الذين وطّدوا أنفسهم، وفندوا أقلامهم في هجاء أصحاب الشيعة وبني عبيد الله، شعر أبي قاسم القزاري في شعر هجائي قوي ومفحم، في ذكر المثالب وتعديد المعايب، ومنها:

عبدوا ملوكهم وظنوا انهم نالوا بهم سبب النجاة عموما
وتمكن الشيطان من خطواتهم فأراهم عوج الظلال قويما
رغبوا عن الصديق والفاروق في أحكامه لا سلموا تسليما
تبعوا كلاب جهنم وتأخروا عمن صيرهم الله نجوما

ومنها أيضا:

سبحان من أبلى العباد بكفرهم وبشركهم حقبا وكان رحيما
يا رب فالعنهم ولقهم بأبي يزيد من العذاب أليما[35]

وهذه أيضا أبيات لسهل الوراق وعلى نفس الشاكلة في شعر ذم وهجاء قوي للشيعة وما نال البلاد من جور وظلم بسببهم فقال:

فلقد كسا طول البلاد وعرضها من جوركم ما فاق كل صفات
قوم إساءتهم إليك بقدر ما أحسنت لا بل مثله مرات
ما قص في التنزيل سوءة امة إلا وفيهم ضعفها سوءات
الطاعنين على النبي محمد والقائلين بأسخف المقالات
إن الإمام هو النبي وإنه رب ، تعالى الله ذو العظمات[36]

وهو عبيد الله المهدي الشيعي يرد على علماء المغرب بالانتقام منهم إن لم يدخلوا في طاعته في معرض شعر التهديد والوعيد، مما يدل على أن هذا الغرض والأسلوب من أغراض الشعر العربي التي نبغ فيها أهل المغرب ونضحت بها قرائحهم، فيقول:

فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم وإن تعدلوا عني أرقتلكم عدلا
وأعلو بسيفي قاهرا لسيوفكم وأدخلها علوا وأملؤها قتلا

فأجابه شاعر من أهل السنة يهجوه فيها بهجاء لاذع مناقض، على نفس الشاكلة أيضا لذلك النوع من الهجاء الذي كان معروفا في العصر الجاهلي ، وسطع نجمه مرة أخرى في العصر العباسي بعد ظهور الشعوبية في المشرق العربي، فقال:

كذبت وبيت الله لا تعرف عدلا ولا عرف الرحمان من قولك الفضلا
وما أنت إلا كافر ومنافق تميل مع الجهال في السنة المثلى
وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمان همتك السفلى[37]

كما ذكر صاحب رياض النفوس أبياتا لشاعر آخر ولعله أخفى اسمه حتى يسلم من بطش الشيعة وإمامهم عبيد الله في أبيات من هجاء لاذع لإمامهم وأتباعه العابدين ، يقول فيها:

الماكر الغادر الغاوي لشيعته شر الزنادقة من صحب واتباع
الناكثين عهود الله كلهم قوم إلى سفه في الناس أوضاع
العابدين إذا عجل يخاطبهم بسحر هاروت من كفر وتبداع
لو قيل للروم أنتم مثلهم لبكوا أو اليهود لسدوا صمغ أسماع
ولو عزونا إلى ابليس ما مكروا لقال إبليس ما هذا من طباعي[38]

5/ نشأة الفكر الصوفي و انتشاره في المغرب العربي ثم بداية الانحراف:

لقد نشأ الفكر الصوفي في المغرب الإسلامي نشأة طبيعية كنشأته في المشرق أي الزهد في الدنيا ومتعها والإقبال على الآخرة وبذل الجهد لها، وفي هذه الفترة بالذات حظي كبار المتصوفة (المشايخ)، في تلك الحقبة وبالأخص في عصر الموحدين بنفوذ كبير بين المسلمين، ولدى السلطة الموحدية في بداية الأمر، غير أن الأمر تغير فيما بعد إثر مواقف الفقهاء المغاربة من التصوف، ومن كتاب الإحياء للإمام الغزالي على وجه الخصوص شأنهم في ذلك شأن فقهاء المشرق كذلك، لكن وبعد مدة عاد التيار الصوفي من جديد وتغلغل التصوف في أوساط المجتمع، وانتظمت طوائفه، وقويت شوكته، وتربع على مقاعد الساسة والسلطة التي لم تنجح في كبح جماح كبار الصوفية وتيارهم الفكري، فما كان عليهم إلا يجعلوه مذهبا رسميا ليخدم مصالحهم، ويدعم استمرار بقائهم، فسرعان ما مالت الدوائر، وساند المتصوفة، وأرباب الطرق بني مرين، مما أدى إلى القضاء على الموحدين بالمغرب العربي، والتصوف الذي بدأ بالأفراد، والانعزال انتهى إلى طوائف وطرق صوفية، امتازت بخاصية التواصل حتى انتشرت في كامل التراب المغربي، وامتدت جنوبا إلى إفريقيا كالسودان والسنغال.

ومن الطبيعي أن يكون لهذا انعكاس على الحركة الأدبية بإثرائها بقصائد وأبيات شعرية ملئت مصنفات وكتب كبار الشعراء والأدباء الصوفية وتفتقت بها قرائحهم وامتزجت بعاطفة قوية بين حب الذات الإلهية والخشية والخوف منها وبين الإعراض عن الدنيا وزخرفها، أمثال عبد السلام التونسي، وأبو مدين شعيب، وعبد الكريم الفكون، وأبو الفضل ابن النحوي، وعبد الرحمن الثعالبي، ومن الطبيعي أن تصل هذه القصائد إلى المغرب العربي وبلاد الأندلس ويتعامل معها شعراء الصوفية في تلك البقاع، ويحذوا حذو شعراء المشرق العربي، وفي المغرب العربي تطور أيضا هذا الشعر الصوفي بمختلف أغراضه وأشكاله التعبيرية من الفصيح العروضي، والموشح الحر، والرجز والزجل المنظوم اللهجات المحلية، الذي عرف به أهل المغرب.

ومن أبرز شعراء التصوف أصحاب التيار السني الفلسفي أبو الفضل ابن النحوي صاحب المنفرجة، التي ذاع صيتها بين صوفي عصره من مغاربة ومشارقة على حد سواء، والتي مطلعها[39]:

اشتَدَّي أزمَةُ تَنفَرِجي قَد آذَنَ لَيلُكِ بِالبَلَجِ
وَظَلامُ اللَّيلِ لَهُ سُرُجٌ حَتّي يَغشَاهُ أبُو السُرُجِ

ومن روائع الشعر الصوفي نذكر أبياتا من ديوان الشاعر الصوفي المعروف أبو مدين شعيب التلمساني، مستعملا أسلوب الوصف الذي يعبر عن افتتانه بالجمال المطلق. جمال الذات الإلهية. بنفحات التصوف، يقول فيها[40]:

بَكتْ السَّحابُ فأضحَكَتْ لبُكائِهَا زهرُ الرّياضِ وفَاضَتْ الانهَارُ
قَدْ أقبلتْ شَمسُ النـَّهارِ بِحلةٍ خُضرا وَفِي أَسْرَارِهَـا أَسْرَارُ

ومن النماذج الشعرية الصوفية الكثيرة التي تدل على تأثر الشعراء المغاربة بفلسفة ابن عربي من خلال وضوح فكرة الاتحادية أو ما يسمى بوحدة الوجود[41]، ما جاء بها الشاعر الصوفي عفيف الدين التلمساني يقول فيها[42]:

شهدت نفسك فينا وهي واحدة كثيرة ذات أوصاف واسماء
ونحن شهدنا فيك بعد كثرتنا عينا بها اتحد المرئي والرائي

ولا غرو أن من أبرز شعراء الفكر الصوفي المغاربة الشاعر والفقيه المعروف عبد الرحمان الثعالبي الجزائري 786هـ1384/ م ، والذي اخترنا له هذه القطعة الشعرية ، المشحونة بمشاعر الإيمان والخوف من الله ، المعبرة عن روح الصوفي المُشبعة بالقيم الدينية السامية التّي أصبح بإمكانها أن تحول في كل مرّة بينه وبين مغبّة الخوْض مع الخائضين واللهو مع اللاّهين، سيما وأنّه يملك سلاح الاستغفار وطلب الصّفح من المولى عزّ وجل، وبإمكانه استعماله متى شاء.

تمرّ اللّيالي بنفسي ومالي فياقوم مالي عن الموت سالي
نهاري جدال وليلي انجدال وحولي رجال على مثل حالي
يبيعون رشدا صحيحا بغيّ فبؤسا وسحقا لهم من رجال
قطعت لعمري ساعات عمري بزيد وعمر و قيل وقال[43]

وعلى غرار شعراء المتصوفة المشارقة والمغاربة على حد سواء، احتفى الثعالبي بالحديث عمّا يضني فؤاده ويُؤرّق سُهاده، باسط للقارئ تجربته بنبرة حزينة وهادئة مُحمّلة بأصدق وأعذب الخواطر الإيمانية التّي أضفت على هذا الخطاب طابعا ذاتيّا انعكس خصوصا ببروز ضمير الأنا طافيا على نسيج القصيدة في الأبيات التي يقول فيها:

فيا ذا الجلال ويا ذا الجمال ويا ذا المَعالي عليْكَ اتّكالي
فَكُن عند ضنّي ولا تُسلّمْني ولا تَخْذلني بسُـوء فعالي
فأنت الرّجاء ومنّا الدّعـاء ومنْكَ العَطاء فَهَبْ لي سُؤالي[44]

ولعل أبرز الأغراض الشعرية التي كان لها الأثر الواضح عند الشاعر الصوفي في المغرب العربي هو الغزل الصوفي الذي يكشف لنا عن خاصية بارزة ألا وهي الرمزية، حيث يعبر الصوفي عن حبه الإلهي، مستعملا ألفاظا بعضها مستعار من معجم الغزل العفيف،وبعضها من الغزل الصريح، ومنها أبيات لعفيف الدين التلمساني يقول فيها:

أُحِبُّ حَبِيباً لاَ أُسَمّيهِ هَيْبَةً وَكَتْمُ الهَوَى لِلقَلْبِ أَنْكَى وَأَنْكَأُ
أَخَافَ عَلَيْهِ مِنْ هَوَايَ فَكَيْفَ لاَ أَغَارُ عَلَيْهِ مِنْ سِوَايَ وَأَبْرَأُ[45]

وعن حب الذات الإلهية ما روي عن أبو الحسن الزعفراني : "حضرت مسجد السبت ومعنا أبو بكر بن اللباد الفقيه وأبو بكر بن سعدون[46]، فقال قائل:

لا يشغلك عن حبيبك شاغل فإذا فعلت فإن حبك باطل

فقال: فتحرك محمد بن ابي سهل الصوفي[47] واستغرقه الحال، فما بقي أحد بالمسجد إلا بكى".[48]

وهناك الكثير من الأبيات الشعرية التي تصف الذات الإلهية عند اهل المغرب الإسلامي لا تقل شأنا وإبداعا عن تلك التي عرفت عند الصوفية المشارقة كتلك التي رويت عن رابعة العدوية التي تخاطب محبوبها وتصف حب الخالق في قولها:

عرفت الهوى منذ عرفت هواك واغلقت قلبي عمن سواك
وكنت اناجيك يا من ترى خفايا القلوب ولسنا نراك
أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك[49]

وعن مجاهدة النفس التي يرتقي بها الصوفي إلى درجة المقام ودرجة العارف بالله التي تتأتى بالعبادة الشاقة، فالبكاء من الله عند الصوفي أنواع فمنها لطول تعذيبه بالحنين عنه إذا ذكر طول المدة إلى لقائه ، والبكاء من خوف الانقطاع ، والبكاء من الفرق لما تواعده من المكافئة لمن قصّر ، والبكاء من الفزع إذا قام الإشفاق من الحادثات التي تحرم الوصول إليه...وكل ذلك من شأنه أن يفتق قريحة الشاعر الصوفي فيبدع في نظمه، فقد وروي عن أحمد بن متعب بن أبي الأزهر[50]، أنه كانت له صلاة طويلة بالليل وبكاء حتى يسمع جيرانه

بكاءه وكان سبب وفاته أنه سمع قارئا يقرأ قوله تعالى: "ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر" فخر صاعقا وحمل إلى بيته فلم يلبث أن توفي، وسمع ذات مرة قائلا يقول:

العفو أولى لمن كانت له القدر ولا سيما عن مصر ليس ينتصر
أقر بالذنب إجلالا لسيده وقام بين يديه وهو يعتذر

فجعل يبكي وينتحب من شدة تأثره.[51]

وقد روي عن أبو الحسن الزعفراني[52] أنه قال: بتنا ليلة ومعنا أبو اسحاق القصري فقال:

من كان يرجو بأن يلقى سلامته يوم الحساب ولا يفزعه مورده
فليحفظ الله في أسرار خلوته ولا يغيب عن الإجلال مشهده

فجثا أبو اسحاق على ركبتيه بين يديه يبكي وينتحب حتى هجم الصبح.[53]

لكن المغاربة شأنهم شان أهل المشرق لم يحافظوا على التصوف الذي يحمل معنى الزهد الذي عرف عن رسول الله (ص) وصحابته، حيث انحرف هذا التصوف إلى الغلو في العبادة ثم انتقل إلى البحث عن الكرامات*، وغلا الصوفية في هذا الجانب حتى وقعوا في المحظور من القول برؤية الله حقيقة.[54]

وكان الاجتماع بالخضر عليه السلام والتحدث معه كما حدث مع موسى عليه السلام من علامات كبار الصوفية في المغرب الإسلامي كما روي عن عيسى بن مسكين (275هـ) وابن مروان الزاهد (303هـ) ومحمد بن القطانية المتعبد (311هـ) وغيرهم من الصوفية المغاربة والسبب الراجع لهذا الانتقال في الفكر والنمط السلوكي للمغاربة هو رحلاتهم إلى المشرق وانتشار كتب الصوفية المشارقة في المغرب، إضافة الى اختلاط التصوف بالفلسفة وانتقال بذلك التصوف من كونه مجرد سلوك عملي إلى تأملات عقلية فلسفية، وانتقال من طور الزهد والرياضة ومجاهدة النفس غلى الطور البدعي الفلسفي وهذا ما عرف في مذهب ابن عربي الطائي (368هـ).[55]

ولقد جاء ابن عربي بأبيات شعرية اعتبرها بعض الفقهاء من الطامات الكبرى التي أوقعته في الشرك والكفر واعتبر البعض أنها أبيات مؤولة لا يقصد بها الظاهر كما قال ابن المقري في نفح الطيب، "من هذا وشبهه تعلم أن كلام الشيخ رحمه الله مؤولة لا يقصد ظاهره وإنما له محامل تليق به".[56]

ولكن ما الداعي لقول هذا الكلام في حق الله عز وجل حتى نجعل القارئ ملزم بالبحث عن فلسفة ابن عربي أو التأويل الذي تحمله سريرته ؟ قال ابن عربي:

يا من يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني

ففي هذا الكلام نسبة صفة النقص إلى الله عز وجل الذي لا يجوز في حقه إلا صفات الكمال، وقد اعتذر ابن عربي عن كلامه بقوله جوابا لمن سأله عن هذا البيت:[57]

يا من يراني مجرما ولا أراه آخذا
كم ذا أراه منعما ولا يراني لائذا

وفي أبيات أخرى التي لا تحمل إلا وجها واحدا ولا يمكن تأويله بأي حال من الأحوال والتي تثبت نظرية الحلول التي صرح بها المتصوفة علنا حيث قال ابن عربي:[58]

الرب عبد والعبد رب فليت شعري من المكلف؟
إن قلت: عبد فذاك رب أو قلت رب أنى يكلف؟

ولقد عيب على المغالبين من المتصوفة الأغاني الروحية العاطفية والرقص والكثير من العادات والتقاسيم التي تشهدها مجالسهم فقد عاب عليهم المعري (ت449) ذلك فقال:

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عبدتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي؟[59]

ولا يمكننا التكلم عن التصوف في المغرب الإسلامي دون أن نعرج على شيخ الزهاد والصوفية صاحب كتاب إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي (ت505) رحمه الله الذي لاقى عند المغاربة والمشارقة على حد سواء قبولا وحبا كبيرا حتى قيل في مدحه :

أبا حامد أنت المخصص بالمجد وأنت الذي علمتنا سنن الرشد
وضعت لنا الإحياء يحي قلوبنا وينقذنا من طاعة النازغ المردي
وفيها ابتهاج للجوارح ظاهر ومنها صلاح للقلوب من البعد[60]

وتجد الإشارة أن موقف المغاربة في بادئ الأمر كان مناقضا لكتاب الاحياء خاصة بعد الأمر بإحراقه[61] ، لكن سرعان ما انقلب إلى نقيضه أيام ابن تومرت الذي كان شغوفا بالنحلة الغزالية حيث قال:" ثم لم تكن الأيام تمتد إلا قليلا حتى جاء الله بالإمام المهدي فبان به للناس ما قد تحيروا فيه وندب الناس إلى قراءة كتب الغزالي، وعرف عن مذهبه أنه يوافقه فأخذ الناس في قراءتها وأعجبوا بها ولم يبق في هذه الجهات من لم يغلب عليه حب الغزالي فصارت قراءتها شرعا ودينا بعد أن كانت كفرا وزندقة"[62]

الخاتمة:

لم يكن الواقع الذي عاشه المغرب الإسلامي ببعيد عن مثله في المشرق الإسلامي، فمنذ بزوغ فجر الإسلام على أرض المغرب والأندلس بفضل الفاتحين المسلمين وانتشار المد الإسلامي لم يسلم المغرب الاسلامي من الريح التي كانت تعصف به بين الفينة وأخرى من خلال مختلف التيارات الفكرية الوافدة من المشرق وما تحمله هذه الأخيرة من معتقدات وبدع وأهواء، إلا أن علماء المغرب كانوا دائما بالمرصاد لها متسلحين بمذهب الإمام مالك محافظين على العقيدة الصحيحة التي جاء بها رسول الله (ص)، وبالمقابل فقد تفتقت قرائح الشعراء في ربوع المغرب الإسلامي والأندلس كذلك كنوع من أنواع المقاومة ضد هذه التيارات الفكرية بشتى أغراض الشعر التي

عرفت على ألسنة شعراء المشرق آنذاك من مديح وهجاء ورثاء وفخر وغيرها، كما كانت هذه القصائد وسيلة للدعوة التي تهدف إلى تبني فكر معين أو فرقة معينة كما هو الحال بالنسبة للشيعة أو المرجئة أو الخوارج أو الأشاعرة أو أصحاب الفكر الصوفي...، أو كانت وسيلة للمقاومة والتحذير والهجاء استعملها أصحاب السنة كما هو الشأن بالنسبة لأصحاب المذهب المالكي وشعرائه ضد أهل الأهواء والبدع ردحا طويلا من الزمن.

قائمة المصادروالمراجع:

1. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي تحقيق: ليفي بروفنسال، طبع دار الثقافة (بيروت).
2. تاريخ الفكر الأندلسي، أنجل جنثالث بالنتيا، ترجمة د/ حسين مؤنس، دار النهضة المصرية، ط1، 1955.
3. تاريخ علماء المغرب، لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الفرضي، طبع دار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.
4. تراجم أغلبية، القاضي عياض، تح: د/ محمد طالبي، طبع المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1968.
5. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذاهب مالك، للقاضي عياض: تح: د/ أحمد بكير محمود، طبع دار مكتبة الحياة، بيروت، 1387-1967.
6. جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، دراسة في الصراع العقدي بالمغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس، د/ إبراهيم التهامي، دار الرسالة الجزائر، ط1، 2002.
7. الحضارة الإسلامية في القرن 4هـ أو عصر النهضة في الإسلام، آدم متز، نقله إلى العربية أبو ريدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1967.
8. دائرة المعارف الإسلامية، تأليف مجموعة من المستشرقين نقلها إلي العربية مجموعة من الباحثين، د/ت، د/ط.
9. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبي عبد الله بن عبد المالك المراكشي، تح: إحسان عباس ومحمد بن شريفة، طبع دار الثقافة، بيروت، ط1، 1973.
10. الرسالة الوافية للإمام بن زيد القيرواني، تح: الهادي حمو، محمد أبو الأجفان، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000.
11. رسائل بن حزم الأندلسي لابن الحزم، تح: إحسان عباس، طبع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980.
12. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، تح: بشير البكوش، طبع دار المغرب الإسلامي، 1983.

13. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: مجموعة من الباحثين، طبع مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1982.
14. صحيح مسلم للإمام مسلم ابن الحجاج القشيري، شرح الإمام النووي، تح: أحمد عبد الله أحمد ابو زينة، مطبعة دار طيبة، ط1، 2006م.
15. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1964.
16. مع ابن هاني والقاضي النعمان، مقال بقلم أحمد خالد، مجلة الفكر التونسية، العدد7 أفريل 1976.
17. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، لعبد الرحمان ابن محمد الأنصاري الدباغ، تح: إبراهيم سبوح، مكتبة الخاجي مصر، ط2، 1968.
18. المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي،تح: محمد سعيد العريان، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1963.
19. المقدمة، ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد الوافي، طبع لجنة البيان العربي، القاهرة، ط1، 1957.
20. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للإمام أبي الحسن الأشعري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، طبع مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1969.
21. الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تح: محمد السيد كيلاني، جمع مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1967.
22. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تح: د/ إحسان عباس، دار الصادر بيروت، 1968.
23. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد محمد بن خلكان، تح: د/ إحسان عباس، دار صادر، 1978.

الهوامش :

1- الحديث أخرجه مسلم في الإمارة باب قوله (ص): " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم" برقم 3، 1525/1926 بلفظ الغرب بدل المغرب والحديث أخرجه بسنده ابن أبي العرب التميمي القيرواني في طبقات علماء افريقية وتونس، ص 60 وما بعدها.

2 .العبر وديوان المبتداء والخبر في أخبار العرب والعجم البربر، عبد الرحمن ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مج2، ص61، مج6، ص221

3 .وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تح : إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط1 ،1972م، 5|233.

4 .مقدمة ابن خلدون ، ط1983،1م، دار القلم، بيروت ، ص449.

5 أنظر نفح الطيب للمقري (3/266-267).

6 . أنظر كتاب الزندقة والشعوبية التي ظهرت في العصر العباسي الأول لحسين عطوان، دار الجيل بيروت، ص 198.

7 . أنظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب للموحد المراكشي (123/3).

8 . الولاة وكتاب القضاة للكندي المؤلف: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري ، تح : محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط1، 1424 هـ - 2003 م، ص428.

9 . أنظر نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

10 - أنظر تاريخ علماء المغرب (350/1)

11- رسائل ابن حزم الأندلسي لابن حزم الأندلسي (186/2)

12 - أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي (205/18).

13 - طه الآية 5

14 - الواقفون: هو الذين يقولون أن القرآن مخلوق لا غير ذلك، أنظر مقالات الإسلاميين لابن الحسن الأشعري (246/2)، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 1954، تحقيق محي الدين عبد الحميد.

15 - اللفظية: هم الذين يقولون أن لفظ القرآن مخلوق وهم في ذلك يجرون مجرى القائلين بخلقه (نفس المرجع ونفس الصفحة).

16 - هو عبد الله بن أبي داود بن جرير بن مالك الأيادي القاضي، أخذ عن هياج بن العلاء السلمي من اصحاب واصل بن عطاء، أنظر وفيات الأعيان (1/81-91).

17 - أنظر الرسالة الوافية للإمام ابن زيد القيرواني (123/2).

18- ابن خلدون المقدمة، (124/3).

19- انظر سير أعلام النبلاء، (19/540-541)

20 . أنظر، تطور مواقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية وتبنيهم للعقيدة الأشعرية، نجم الدين الهنتاتي، ط1 ، 1992م ، القاهرة، ص 308/307.

21 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي 134/2.

22 . المقدمة ، 228/6

23 . أنظر ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لابن أبي زرع ، طبعة دار المنصور بالرباط، ط1، 1972م، 176/2.

24 . ديب صفية، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 36.

25 . ينظر، ابن خلكان، المصدر السابق، ص 39، وينظر،ابن خلدون، العبر ج1 ص223 .

26 - هو عبد الله محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي ألبيري الأصل أخذ علم الكلام عن أبي بكر بن الحسين المرادي وغيره وروى عنه جمع من أهل الأندلس، كان متكلما مشاركا في الأدب والطب من كتبه (النكت والأماني في الرد على الغزالي) وشرح صحيح البخاري، توفي سنة 537هـ أنظر الذيل والتكملة (193/6).

27 - الشيعة هم الذين شايعوا عليا ﷺ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصيا ووصية إما جليا أو خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقية من عنده، أنظر عنهم في الملل والنحل للشهرستاني، ص 146، تحقيق د/ عبد اللطيف محمد العيد ، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، 1977.

28- هو الإمام أبو بد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ولد بالمدينة المنورة (80ه) أو (83ه) وهو الإمام السادس عند الشيعة توفي بالمدينة المنورة سنة 148ه ودفن بالبقيع أنظر وفيات الأعيان (1/327-328).

29- هو أبو محمد عبيد الله المهدي يُعتَبرُ مؤسسَ سلالةِ الفاطميين، وأول من قام من الخلفاء العبيدين الباطنيين الذين أعلنوا الرفض وأبطنوا مذهب الاسماعلية وادعى أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق وقد امتدت دولته 25 سنة أتى فيها بالدواهي من تعذيب وقتل لأصحاب السنة توفي (322ه).

30 - أنظر ابن الأثير (127/6)، وابن خلدون (65/4).

31 - أنظر جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة اهل السنة لإبراهيم تهامي، ص 403/402.

32 - أنظر مقال ابن هانئ والقاضي النعمان مقال بقلم أحمد خالد مجلة الفكر التونسية، العدد 7 أبريل 1976م.

33- أنظر معالم الإيمان، (27/2).

34 - أنظر ترتيب المدارك، (625/2-626).

35 - أنظر الأبيات في رياض النفوس (494/2).

36 - نفسه، (496/2-498).

37 - الأبيات في البيان المغرب، (178/1).

38 - انظر رياض النفوس (2_346)

39 . أنظر، كتاب"البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد ن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني، ص 300.

40 . أنظر ، أبو مدين شعيب التلمساني، الديوان، جمع :العربي بن مصطفى الشوار ، مطبعة الترقي بدمشق ، ط 1، 1938ص ، 63

41 .الاتحادية أو وحدة الوجود مذهب فلسفي يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرون الله صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته. وهي فكرة قديمة أعاد إحيائها بعض المتصوفة من أمثال :ابن عربي، وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني والذين تأثروا بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة وفلسفة الرواقيين.

42 . أنظر، مصطفى مجاهدي ، الفلسفي والصوفي في شعر عفيف الدين التلمساني، مجلة حوليات التراث ، كلية الآدب والفنون، جامعة مستغانم ، العدد 02، سبتمبر 2004 ، ص 15.

43 . أنظر، عبد الرزاق قسوم ، عبد الرحمان الثعالبي و التصوف ، سلسلة الدراسات الكبرى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (دط)، 1978 ، ص63.

44 . نفس المرجع السابق ،ص 64.

45 . عفيف الدين التلمساني ، الديوان ، تح :العربي دحو ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994ص ، 271.

46 - هو أبو بكر محمد بن سعدون الجزيري التميمي كان عابدا متصوفا كثير الحج سمع بمكة وكان حسن الصوت بالقرآن توفي سنة 344ه.

47[47] - هو عبد الله محمد بن أبي السهل من كبار الصوفية بالمغرب العربي توفي سنة 332ه أنظر رياض النفوس (319/2).

48 - معالم الإيمان (53/3).

49 - أنظر دائرة المعارف الإسلامية، ج 11، مجلد 9، ص 232.

* الكرامة هي أمور خارقة للعادة تظهر على يد المؤمن التقي العارف بالله وصفاته وغير مقرونة بدعوى النبوة (أنظر جهود علماء المغرب، ص 385 هامش)

50 - هو احمد بن متعب بن أبي الأزهر الأزدي كان معرفا بزهده وورعه وكان من أصحاب سخون وكان له رحلة إلى المشرق توفي سنة 276هـ

51 - .أنظر تراجم أغلبية، ص258.

52 - هو أبو الحسن الزعفراني فقيه متعبد معروف بصلاحه وعلمه وزهده في المغرب توفي سنة 362هـ، انظر معالم الإيمان (80/3 رقم 220).

53 - انظر رياض النفوس (319/2)

54 - جهود علماء المغرب، ص 541.

55 - هو الشيخ محي الدين ابن عربي الصوفي المشهور ولد بـ(مرسيلة) بالأندلس سنة (560هـ) وانتقل إلى اشبيلية وسمع الكثير بها ثم ارتحل إلى المشرق واجازه جماعة منهم الحافظ السلفي وابن عساكر وابن الجوزي من مؤلفاته (الفتوحات الربانية) و(الفصوص) توفي سنة (638هـ).

56 - أنظر نفح الطيب (168/2).

57 - أنظر جهود علماء المغرب، ص 546.

58 - يقصد بنظرية الحلول حلول الذات الإلهية في روح المتصوف الذي بلغ درجة عالية من التعبد حتى رفع عنه التكليف.

59 - أنظر الحضارة الإسلامية لآدم متز (32/2).

60 .أنظر طبقات الشافعية للسبكي (254/6) والزبيدي في اتحاف السادة المتقين (40/1).

61 - وقعت حادثة إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي في بداية سنة 503هـ في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، أنظر إلى ابن خلكان (488/2).

62 - أنظر تاريخ الفكر الاندلسي لبالنثيا ، ترجمة د- حسين مؤنس ، ص 365- 366 نقلا عن كتاب المدخل لصناعة المنطق لابن طلموس(1/9- 13) طبعة مدريد 1916م